سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: ﴿٢٠﴾ **أمور تنافي التوحيد (١٢)**

الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

١٤/رجب/١٤٤٥هجرية

سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: ﴿ ٢٠ ﴾ **أمور تنافي التوحيد (١٢)**

الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

١٤/رجب/١٤٤٥هجرية

محفوظة جميع الحقوق

اسم الكتاب: سلسلة خطب التوحيد
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٥هـ
الطبعة: (الأولى)
دار الحديث السلفية - الضالع - اليمن

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

سلسلة خطب التوحيد

أمور تنافي التوحيد ١٢

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس، لا زلنا نتكلم عن الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ مما يصدر من أقوال أو أفعال، وإن من هذه الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ:

الرياء في الأعمال الصالحة، والرياء: هو أن يعمل الإنسان العمل الصالح يريد أن يراه الناس وينظرون إليه فيثنون عليه به ويمدحونه.

سُمِّي رياءً نسبة إلىٰ الرؤية فإن الإنسان يتعرض بعمله إلىٰ رؤية الناس كما قال الله سبحانه وتعالىٰ عن المنافقين ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [سورة النساء:١٤٢]، أي إنما قاموا إلىٰ الصلاة لأجل رؤية الناس لهم، فهذا الرياء ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ؛ لأن فيه إشراكًا في النية، فقد نوىٰ بعبادته هذه وأراد بها أن يراه الناس وأن ينظروا إليه، لم تكن عبادته خالصة لوجه الله، لأن العبادة يجب أن تكون خالصة لوجه الله يطلب الإنسان فيها الأجر والثواب من الله تعالىٰ لا يريد من الناس مدحًا ولا ثناء ولا جزاء من جزاء الدنيا، فإذا صار الإنسان يقصد بعبادته أن يراه الناس فيثنون عليه ويمدحونه فإنه يكون قد وقع في الرياء، وهو من الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ.

جاء في صحيح مسلم(٢٩٨٥ -٤٦-) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»، فالله تعالىٰ غني أن تجعل له شريكًا في نيتك، ومن أشرك مع الله تعالىٰ في النية أحدًا تركه الله وترك شركه، أي ذلك العمل الذي عمله، فلا يقبله الله منه ولا يثيبه عليه.

جاء في مسند الإمام أحمد(٢٣٦٣٠) عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**». قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ، اذْهَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟**»، هل تجدون عندهم ثوابًا لأعمالكم التي عملتموها لأجل مدحهم وثنائهم.

وجاء عند ابن أبي شيبة(٨٤٠٣) وابن خزيمة(٩٣٧) بسند صحيح عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ**». وفي رواية: «**لِيَنْظُرَ النَّاسُ إِلَيْهِ**». $**فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ**». يقوم إلىٰ الصلاة فيزين الصلاة ويُحَسِّنُها يزين تلاوته بها أو يطيل ركوعه وسجوده فيها لا لأجل الله ولا لطلب الثواب منه وإنما ليراه الناس ولينظروا إليه لما يعلم من نظر الناس إليه فهذا شرك السرائر.

وهكذا يتعلم العلم ليقول الناس: إن فلانًا عالم، يقرأ القرآن ليقول الناس: إن فلانًا قارئ يتصدق ويبذل الأموال في وجوه الخير ليقول الناس: إنه كريم إنه جواد إنه سخي، وهكذا يجاهد في سبيل الله ويتقدم في الصفوف الأولىٰ وربما كان شجاعًا مقدامًا لا لأجل الله ولا لنيل ثواب الله ولكن ليقول الناس: إنه شجاع إنه جريء، هكذا يخطُب أو يُعلِّم أو يتكلم فيُحسِّن ذلك ويزيِّنه ليثني عليه الناس وليمدحوه هذا شرك السرائر الذي حذرنا رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منه وهو أمر خطير علىٰ الإنسان، وهو بحر لا ساحل له كما قال أهل العلم.

وجاء عن كثير من السلف أنه كان يقول أحدهم: ما عالجت نفسي علىٰ شيء أشد من معالجة النية لأن الإنسان قد يطمع لمراءات الناس وتزيين العمل لأجلهم، فهذا الرياء الذي هو شرك بالله، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا

﴿يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف:١١٠]، ﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي خالصاً لله موافقا لشريعة رسول الله ﷺ.

وكم يدخل الشيطان علىٰ الإنسان من هذا الباب، فتراه يجتهد في الأعمال الصالحة ويبذل فيها وسعه ويتعب فيها ويكرس جهوده ثم يُدخِل عليه الشيطان هذه النية فيُفسِد عمله ويُرَد عليه ولا يقبله الله منه بل يكون آثما واقعاً في الشرك بالله.

[حكم الرياء]

قال أهل العلم في قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، قالوا: يكون الرياء شركاً أصغر إذا كان يسيراً، ولذا يمثل العلماء للشرك الأصغر بيسير الرياء أما لو كان الرياء كثيراً واستولىٰ علىٰ أعمال العبد فإن هذا والعياذ بالله يوقعه في الشرك الأكبر حيث يكون قد صرف العبادة لغير الله، وهذا شرك المنافقين الذين قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [سورة النساء:١٤٢] أي لأجل الناس يقومون، وقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ الْعِشَاءُ وَالْفَجْرُ وَلَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ** -أي شيئاً من اللحم والطعام يأكله- **لشهدَهما**». لو يعلم أحد هؤلاء المنافقون أنه يجد طعاماً لشهد صلاة الفجر وصلاة العشاء لأنه ليس له باعث إلىٰ العمل الصالح من إرادة وجه الله وإنما الباعث له إرادة الدنيا أو المراءاة.

فـ نَعَم، عباد الله، الشرك الأصغر يسير الرياء وأما إذا عظم في أعمال العبد فهذا خطير عليه ومع ذلك يفسد عبادته.

[حكم العمل إذا خالطه الرياء]

فالرياء إذا دخل العبادة أفسدها، قال: أهل العلم ولذلك أحوال لإفساد الرياء للعبادة فإن ظاهر الأحاديث المتقدمة أن عبادته باطلة مردودة عليه «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»، يقول الله للمرائين يوم القيامة: «**اذهبوا إلىٰ الذين كنتم تراءونهم في الدنيا، انظروا هل تجدون عندهم جزاء**»، فهذه الأحاديث تبين أن عمله باطل وأنه مردود عليه ولا يجزيه الله تعالىٰ ثواباً عليه بل هو متوعد بالإثم والعقوبة علىٰ الرياء فيه.

قال أهل العلم: فإن كان الباعث للعبد علىٰ العبادة هو الرياء من أول ما قام إليها كان المقيم له والمحرك له للعبادة هو إرادة نظر الناس إليه، وإرادة ثنائهم عليه وليس له نية في إرادة وجه الله، ليس له نية في طلب الثواب والأجر بذلك العمل وإنما الباعث له هو الرياء، فهذا لا شك في بطلان عمله، وعمله كله باطل ولا يجزيه الله تعالىٰ عليه شيئاً من الأجر والثواب.

وأما إن كان الباعث له إرادة وجه الله ثم طرأ عليه الرياء كما يطرأ لكثير من المسلمين، يكون الباعث له للقيام إلىٰ العبادة إرادة وجه الله وطلب الثواب منه، ولكن يطرأ عليه الرياء في أثناء العبادة، بدأها خالصة ثم دخلها الرياء حين علم أن الناس ينظرون إليه فلما علم أن الناس يذكرونه راءىٰ في العبادة وقد كان بدأها خالصة لوجه الله.

فهنا إن كان آخر هذه العبادة لا ينبني علىٰ أولها فما كان خالصاً لله فهو صحيح مقبول وما وقع فيه الرياء فهو مردود، قال أهل العلم كالصدقة، كإنسان يريد أن

يتصدق بألف فتصدق بنصف الألف بخمس مئة خالصاً لله، ثم أراد أن يتصدق بنصف الألف الثاني فعلم أن الناس ينظرون إليه فرآهم وتصدق لأجل نظرهم إليه فالنصف الأول صحيح مقبول، والنصف الثاني باطل مردود؛ لأن آخر هذه العبادة لا ينبني علىٰ أولها بل هي منفصلة.

وأما إذا كان آخر العبادة مبنياً علىٰ أولها وكانت متصلاً بعضها ببعض كالصلاة، فإن قام يصلي خالصاً لله ثم طرأ عليه في أثناء صلاته فصلاته كلها باطلة لأنه لا يصح أول العبادة إلا بصحة آخرها ولا تصح آخرها إلا بصحة أولها، فإذا طرأ عليه الرياء في جزء من أجزاء تلك العبادة أبطل تلك العبادة وأفسدها بما طرأ عليه من الرياء.

هذا إذا سكن إلىٰ الرياء ورضي به واطمأنت نفسه إليه، وأما إذا طرأ الرياء علىٰ الإنسان فدافعه ولم يسكن إليه ولم يرضَ به بل دافعه واستعاذ بالله تعالىٰ منه فهذا لا شيء عليه بل هو مأجور علىٰ مدافعته للشيطان ووسوسته وإرادته للشر، وهذا قد يقع للإنسان أن يطرأ عليه شيء من مراءاة الناس فيدفع ذلك ويستعيذ بالله -جل وعلا- ويطلب من الله تعالىٰ أن يسلمه فهذا لا يؤثر عليه ولا يضره.

أيضاً ليس من الرياء ما يطرأ بعد العمل، بعد إتمامه وإكماله فيفرح به الإنسان أو يثني عليه الناس به ويمدحونه وقد عمله خالصاً لله فهذا لا يضره، فقد جاء في صحيح مسلم(٢٦٤٢ -١٦٦-) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم قالوا للنبي ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَىٰ الْمُؤْمِنِ**».

الصحابة سألوا النبي ﷺ يا رسول الله أحدنا يعمل العمل من الخير فيثني عليه الناس به ويمدحونه بذلك العمل وهو عمِلَه خالصاً لله من أوله إلىٰ آخره هل ذاك من

الرياء؟ قال: تلك عاجل بشرىٰ المؤمن؛ أي أن هذا لا يضره وليس من الرياء، وإنما هو مما يُجريه الله من الثناء الحسن علىٰ ألسن العباد إكراماً من الله تعالىٰ لمن شاء من خلقه.

وجاء في مسند الإمام أحمد(١١٤) أيضاً عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ**». فالمؤمن يعمل الحسنة ثم تسره ويفرح بها دون إعجاب أو كبر ولكن يفرح بطاعة الله؛ أن وفقه لذلك وأعانه عليه؛ فليس هذا من الرياء ولكن هذا دليل الإيمان.

فالرياء ما يطرأ علىٰ الإنسان قبل العمل ويكون هو المحرك له إلىٰ العمل؛ أو يطرأ عليه في أثناء العمل فيسترسل معه ويطمئن إليه ولا يدفعه؛ فهذا هو الرياء الذي يؤثر علىٰ عبادة الإنسان، وأما ما كان بعد العبادة من فرح بها وسرور بأدائها؛ ومن ثناء يجريه الله تعالىٰ علىٰ ألسن عباده؛ فهذا من بشرىٰ الله -جل وعلا- لعبده المؤمن وليس من الرياء.

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، أيضاً من الأفعال التي تنافي توحيد الله تعالىٰ وهو متعلق بما قبله **أن يريد الإنسان بعمله شيئًا من الدنيا**، وهذا أعم من الرياء فإن الرياء يريد من الناس ثناء وذكراً حسناً، وأما إرادة الدنيا فإنه أشمل من ذلك فيعمل الطاعة لأجل أن يحصل علىٰ المال، يعمل الطاعة لأجل أن يحصل علىٰ منصب، يعمل الطاعة لأجل أن ينال شيئاً من حطام الدنيا، وهذا قد حذرنا الله تعالىٰ منه في آيات كثيرة من القرآن، قال الله سبحانه ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ يريد بأعماله الصالحة متاع الدنيا: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة هود:١٥-١٦]، وقال الله سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الشورىٰ:٢٠]، ليس له نصيب ولا جزاء في الآخرة إذا أراد بعمله الدنيا ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الإسراء:١٨-١٩]، فهذه الآيات تبين أنه يحرم علىٰ الإنسان أن يريد بالطاعة الدنيا؛ لأن الطاعة يراد بها وجه الله، فالله -

جل وعلا- أوجب علينا الإخلاصَ في العبادة، والإخلاصُ في العبادة أن نريد بها وجه الله -جل وعلا- لا نريد بها الدنيا، لا نريد بها ثناء ولا منصباً ولا مالاً ولا جاها نريد بالعمل الصالح وجه الله -جل وعلا- والثواب الأخروي.

وأخبرَنا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن بعض الناس قد يسيطر عليه هذا الحال حتىٰ يصير عبداً من عباد الدنيا ولا يكون عبداً لله -جل وعلا-، جاء في صحيح البخاري(٢٨٨٧) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ** -وهي نوع من الفراش- **وَالْخَمِيصَةِ** -وهي نوع من الثياب-، **إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**»، وهذا دعاءٌ عليه، فهذا سيطر عليه هذا الحال وكانت نيته في إرادة الدنيا حتىٰ سماه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عبداً للدينار والدرهم، فيتحرك لأجل نيله ويتعبد لأجل الوصول إليه، وهذا خطير علىٰ الإنسان فكما أنه يُرد عليه عمله ولا يقبله الله تعالىٰ منه أيضا قد وقع في أمر عظيم وقع في صرف هذه العبادة لغير الله -جل وعلا- حين نوىٰ بها شيئاً من حطام الدنيا.

قال أهل العلم: والعبادات بالنسبة لإرادة أمور الدنيا بها الأمر نوعان: **النوع الأول**: عبادات لم يُرتِّب الشارع عليها ثواباً دنيوياً، إنما جاء فيها الثواب الأخروي كالصلاة والصيام والحج ونحو ذلك من العبادات فهذه لا يجوز إرادة الدنيا بها في حال من الأحوال.

والنوع الثاني: من العبادات عبادات رتَّب عليها الشارع ثواباً دنيوياً كقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**».(١) فهذا فيه أن صلة الرحم سبب في زيادة الرزق وطول العمر وهذا ثواب دنيوي، وقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أيضًا: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا** -أي من المشركين في الجهاد- **فَلَهُ سَلَبُهُ**».(٢) والسلب ما يكون علىٰ المقاتل من ثياب أو سلاح ونحو ذلك مما هو محمول علىٰ جسده، وهذا ثواب دنيوي.

قال العلماء: فيجوز نية هذا الثواب الدنيوي في تلك الأعمال علىٰ سبيل التبع لا علىٰ سبيل الأصل، فيكون القصد الأول هو إرادة وجه الله والتقرب إليه، يَصِلُ رحِمَه لإرادة ثواب الآخرة ولإرضاء الله -جل وعلا- ثم إن جاءت هذه النية أنه يصله أيضاً لزيادة الرزق وطول العمر تبعاً لا أصلاً فهذا جائز، هكذا يقتل القتيل من الكفار ويخرج إلىٰ الجهاد لإرادة نصرة الإسلام وليقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله العليا، ثم يَعْمِدُ إلىٰ رجل من المشركين يقتله لأجل إذلال الكفر وكسر شوكته وإعزاز الإسلام، وينوي أن يأخذ سلبه تبعاً لا أصلاً فهذا جائز ولا يؤثر عليه.

وأما إن نوىٰ بهذه العبادات الدنيا أصلاً فإنها لا تقبل منه هذه العبادة ويكون قد وقع في الأمر الحرام، جاء في سنن أبي داود(٢٥٢٧) عن يعلىٰ ابن مُنْيَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أَذَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْغَزْوِ وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ -أي لا يستطيع الغزو-، لَيْسَ لِي خَادِمٌ -أي

---

(١) رواه البخاري(٥٩٨٦) ومسلم(٢٥٥٧ -٢١-) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري(٣١٤٢) ومسلم(١٧٥١ -٤١-).

يغزو مكاني-، فَالْتَمَسْتُ أَجِيرًا يَكْفِينِي وَأُجْرِي لَهُ سَهْمَهُ، فَوَجَدْتُ رَجُلًا، فَلَمَّا دَنَا الرَّحِيلُ أَتَانِي فَقَالَ: مَا أَدْرِي مَا السُّهْمَانُ وَمَا يَبْلُغُ سَهْمِي، فَسَمِّ لِي شَيْئًا كَانَ السَّهْمُ أَوْ لَمْ يَكُنْ. فَسَمَّيْتُ لَهُ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ، فَلَمَّا حَضَرَتْ غَنِيمَتُهُ أَرَدْتُ أَنْ أُجْرِيَ لَهُ سَهْمَهُ، فَذَكَرْتُ الدَّنَانِيرَ، فَجِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ أَمْرَهُ، فَقَالَ: «**مَا أَجِدُ لَهُ فِي غَزْوَتِهِ هَذِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا دَنَانِيرَهُ الَّتِي سَمَّيْتَ**». أي ليس له نصيب من هذه الغنيمة التي غنم وليس له ثواب في الآخرة وما له إلا تلك الثلاثة الدنانير التي خرج لأجلها، فبيَّن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه إذا كان الباعثُ للعمل إرادةَ الدنيا وإن كان في أعمال قد رُتِّب عليها ثواب دنيوي، لكن كونه يكون مريداً للدنيا أصلاً لا ينفعه ذلك ولا يقبل الله تعالىٰ منه عمله ولا يثيب عليه.

فاحذر أيها المسلم علىٰ أعمالك الصالحة، احذر من الأمرين جميعا، احذر من الرياء: أن تُزيِّن الأعمال وأن تحسِّنها أو أن تقوم بها لأجل أن ينظر إليك الناس فيثنون عليك.

هكذا احذر أن تُسَخِّر الأعمال الصالحة لنيل الدنيا احذر أن تسخر الأعمال الصالحة لنيل وظيفة أو لنيل منصب أو لنيل مال، احذر أن تتعلم العلم الشرعي لأجل أن تصل إلىٰ منصب أو إلىٰ مال تحصل عليه أو إلىٰ أمر من أمور الدنيا، احذر أن تجاهد لأجل أن تحصل علىٰ راتب أو غنيمة، وهكذا كل الأعمال الصالحة من قراءة القرآن والصلاة بالناس إماماً وإقامة الأذان وغيرها من الأعمال لا يجوز أن يقوم بها الإنسان لأجل الدنيا.

هكذا الحج لا يجوز للإنسان أن يذهب إلىٰ الحج عن غيره قاصداً أخذ المال أو ما يعطيه من يوَكِّلُه وليس له نية في العبادة وإنما يريد جمع المال، كلُّ ذلك من إرادة الدنيا بالعمل الصالح التي تجعله مردودا علىٰ صاحبه والتي تجعل عمله هذا منافياً لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

نسأل الله -جل وعلا- أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الكفر والكافرين.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا علىٰ القوم الكافرين.

والحمد لله رب العالمين.

١٤/ رجب/ ١٤٤٥هجرية

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع